ابن الوردي – ملامح من سيرته وقراءة في اخوانياته

أ.م. أميرة محمود عبد الله

كلية الآداب/ جامعة بابل

Ibn Al – Wardy
Features of his biography and read in his brothers

Ass.Prof. Ameera Mhmood

University Of Babylon\ College of Arts

Saa_Sha2010@yahoo.com

Abstract

There is no doubt that the poet - the son of the pink - Zinedine Omar ibn al-Muzaffar ibn Umar ibn Muhammad ibn Abi al-Fawares ibn al-Wardi al-Ma'ri al-Halabi, one of the most prominent poets who took the lead in the first half of the eighth century of migration, along with adults, (768 AH) and Salah al-Din al-Safadi (d. 764 AH). He is also a number of the greatest scholars of Shaafa'is, scholars, and grammarians. The importance of the subject comes from the honor of the great personality of the author. There is no doubt that the researcher feels the pride that drives him to study the product of this poet, what is distinguished from the multiplicity of sciences and the arts he owns, and how not?

He is the sheikh, the world, the jurist, the grammarian, the writer, the historian of well-known history, and one of the virtues of his time, literature, literature, literature, and other sciences. Therefore, in this research, I sought to study what I understood from the aspect of his poetic creativity, namely, the Brotherhood exclusively, and the research plan required that it be in three sections, followed by a conclusion and results and proven by the names of sources and references.

The first topic, entitled (Sirte) and stood on everything related to his name and descent, birth and development and personality and the tributaries of culture and its effects, taken from the books of translations and classes guided and appointed, emphasizing the uniqueness of this great personality. The first was a brief overview of his poetry and his poems, which was a milestone in his time. It is a clear picture of the image of the Mamluk literary and monetary era. He collected it in his life and his rank and was elected by his poetry and prose. . If the pink son has loved his readers, his hair and good prose, so he laid his hair and its purposes in it modern, and described it with the most expensive descriptions, because it combines quality and carrot. While the second focused on his brotherly poetry, and she talked about the concept of the hair of the brothers and then the proportion of this color of the poetry in his office, which will be revealed by the research and shows its importance, and found that its purposes varied in it included repentance, humor and humor and Brotherhood records. The third section specialized in technical features. The research was able to identify artistic features and identify the language of the poet, including the ease of abstention, the publication of his poetry about the printing, and then the economy in the arts of Badea, inclusion and quotation from the Holy Quran. The research ended with a conclusion that included the most important findings of the research, followed by the sources and references adopted in the completion of the work.

Keywords: Brotherhood, features, pink, abstinence

الملخص

لاشك في أنّ الشاعر – ابن الوردي – زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس بن الوردي المعري الحلبي، من كبار الشعراء المفلقين الذين حازوا قصب السبق في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة ، جنباً إلى جنبٍ مع الكبار، كابن نباتة المصري (ت ٧٦٨ هـ) وصلاح الدين الصّفدي (ت٧٦٤ هـ) وهو كذلك معدود من كبار علماء الشافعية فقهاً وأصولاً ومن النحويين أيضاً. وتأتي أهمّية الموضوع من شرف شخصية صاحبه العظيمة، التي ما مِنْ شك في أنّ الباحث، يحسُّ بالفخر الذي يدفعهُ

إلى دراسة نتاج هذا الشاعر، ما امتاز به من تعدد العلوم والفنون التي يمتلكها، وكيف لا؟ فهو الشيخ والعالم والفقيه والنحوي والأديب والمؤرخ صاحب التاريخ المعروف، وأحد فضلاء عصره وفقهائه وأدبائه وشعرائه والمفنّن في اللغة والأدب وسائر العلوم .

لذا آثرتُ في هذا البحث، دراسة ما استوعبتهُ من جانب من جوانب إبداعه الشعري، وهو الاخوانيات حصراً، وقد اقتضت خطة البحث أن يكون في ثلاثة مباحث، أعقبتها خاتمة ونتائج وثبت بأسماء المصادر والمراجع. أمّا المبحث الأول ، فكان بعنوان (سيرتهُ) وقفت فيه على كلّ ما يتعلق باسمه ونسبه وولادته ونشأته وشخصيته وروافد ثقافته وآثاره، متخذة من كتب التراجم والطبقات مرشداً ومُعيناً، مع التأكيد على فرادة هذه الشخصية العظيمة. واهتمّ المبحث الثاني، بدراسة شعره الاخواني، إذ شغل حيزاً كبيراً في البحث وتضمّن محورين، الأول كان لمحة موجزة عن شعره وديوانه الذي كان معلماً من معالم عصره، فهو صورةٌ واضحة عن صورة العصر المملوكي الأدبية والنقدية، وانهُ جمعهُ في حياته ورتبّه وانتخب من شعره ونثره. إذاً فابن الوردي قد حبا قُراءهُ صفوَ شعره وجيّد نثره، لذلك أرضى شعره وأغراضه فيه معاصريه، فوصفوه بأغلى الأوصاف، لأنه جمع بين الجودة والجزالة. في حين ركّز الثاني، على شعره الاخواني، فتحدثت عن مفهوم شعر الاخوانيات ومن ثم نسبة هذا اللون من الشعر في ديوانه، مما سيكشفه البحث ويبين مدى أهميته، وقد وجدت أنّ أغراضه تنوعت عنده فشملت العتاب، والدعابة والفكاهة والمساجلات الاخوانية. واختصّ المبحث الثالث بالسمات الفنية وقد استطاع البحث تأشير سمات فنية وَسَمت لغة الشاعر، منها السهولة الممتنعة، وصدور شعره عن الطبع، ومن ثم الاقتصاد في فنون البديع والتضمين والاقتباس من القرآن الكريم.

وانتهى البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصّل البحث إليها، أعقبناها بالمصادر والمراجع التي اعتمدت في انجاز العمل.

الكلمات المفتاحية: الاخوانيات ، ملامح ، الوردي ، الممتنعة

المبحث الأول

(سيرته)

- **اسمه ونسبه:**

يذهب معظم الذين ترجموا[١] لابن الوردي، إلى أنّ اسمه عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري الحلبي، زين الدين بن الوردي الفقيه الشافعي[٢]، ويذهب ابن إياس إلى أنّ اسمه زين الدين بن الوردي الكندي[٣] ويذكر انه اشتهر بالفضل[٤].

ينتمي ابن الوردي بنسب إلى أبي بكر الصديق (رض) وهو نسب معروف لاشك فيه[٥]. وقد صرّح بذلك في شعره، في قوله[٦]:

هذا وبالصديق لي نسبةٌ وصلةٌ تُعرف كالنجمِ
أعددتها للحشر ذخراً ولا أبغي بها فخراً على خصمي

وقد نسب إلى المعرّة، لولادته فيها[٧]، غير أنّ الكلمة التبست على جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) فنقلها مصحّفةً إلى بغيتهِ هكذا (المصري)[٨]، وتأكد لي هذا التصحيف لمّا نقل ابن العماد الحنبلي إلى شذراته[٩]. وبقي لنا من نسبه ما ورد في نسبته إلى كندة القبيلة العربية اليمانية، وهذا أمرٌ محيّر، فالمنتسب إلى الصدّيق (رض) عربي قريشي من تيم بطن من بطون قريش وقريش من عدنان وليست من قحطان فالأمرُ هنا خطأ واضح من ابن إياس، ولابن الوردي في ذلك أبيات مباهياً مفاخراً فيها، اذ يقول[١٠]:

محمدٌ عبد الله حيٌّ وجَدُّنا أبو بكر الصديق عند محمد
فنحن على من يعتدي سمّ ساعة ومن لم يصدّق فليجرّب ويعتدي

ولادته:

لم تذكر المصادر التي ترجمت لهذا العالم الجليل سنة ولادته بالمعرّة، وهذا مستغرب، فإنّ عصر الشاعر حفل باعتناء أصحاب الطبقات بإيراد المواليد للمشاهير مع الوفيات بعناية يعرفها أهل الشأن. وبالرغم من هذا الاغفال فقد أورده ابن الوردي في كتابه (تتمة المختصر في أخبار البشر) اذ يقول: (في سنة ٦٩١هـ، وفيها والملك الاشرف نازلٌ على معرّة النعمان متوجّها إلى قلعة الروم كان مولدي، واتفق أنّ أهل المعرة رفعوا قصصاً إلى السلطان الاشرف يسألونه إبطال الخمارة بها فأمر بإبطالها)[١١].

نشأته:

بدأت مسيرته العلمية في مدينة حلب، إذ اجتهد في طلب العلم والفقه وفاق أقرانه كما يقول ابن حجر العسقلاني[١٢]، وانتقل بعد ذلك إلى حماة ليأخذ عن القاضي شرف الدين البارزي[١٣] – قاضي حماة – وعن الفخر خطيب جبرين بحلب، وعن صدر الدين محمد بن زين الدين عثمان وكيل بيت المال في القاهرة وعن غيرهم، حتى أصبح رجل دهره وقاضي عصره وأحد فقهائه وأدبائه وشعرائه وتفنن في علومه[١٤].

وبعد استكمال طلب العلم، غمر نفسه في لُجّةِ المناصب الحكومية، وفي سلك القضاء، فبرع فيه منذ شبيبته فيقول السيوطي: (...وناب في الحكم بحلب في شبيبته عن الشيخ شمس الدين النقيب، ثم عزل نفسه وحلف لا يلي القضاء لمنامٍ رآهُ...)[١٥].

وكلام السيوطي مشعرٌ بقلة مدته في القضاء، لكنه في ترجمة العسقلاني نراه نائباً في كثير من معاملات حلب، و(ولي قضاء منبج ... وعاتب ابن الزملكاني بقصيدة مشهورة على ذلك، ورام العوْدَ إلى نيابة الحكم بحلب فتعذّر ثم أعرض عن ذلك...)[١٦].

وممّا اقتصدت المصادر في ترجمته له في هذه المدة من حياته، انه أمضى من عمره دهراً، قاضياً في (شيزر) وقد سئم منها فشكى إلى شيخه ابن البارزي منها، اذ يقول:

أيا باعثي أقضي بشيزرَ ما الذي أردت قضا أشغالهم أم قضا نحبي
حكيتُ بها الناعورَ حالاً لأنني بكيتُ على جسمي ودُرتُ على قلبي[١٧]

وكذلك ذمّ لأحد القضاة مدينة حماة، وهي التي استكمل فيها علومه[١٨]. ويذكر فواز الشعّار أنّ الزمن الذي عاش فيه ابن الوردي هو زمن الانحطاط الأدبي، الا أنهُ كان على العلم والأدب ينهل من معينهما الثرّ[١٩].

ويبدو لنا أنّ ابن الوردي، قد آثر الخلود إلى حياة العلم والعلماء، لما فيها من العزلة والخلوة إلى الكتب والتصانيف، وعدم ملابسة الناس في قضاياهم وجريهم وراء الدنيا وزخارفها يقول[٢٠]:

تركتُ لكم عزَّ القضاء وجاههُ وأبعدتُ عنهُ خائفاً أترقّبُ
فقوموا على ساقي حديدٍ وشمّروا لنيل علاءٍ واهجروا النوم واطلبوا
وميلوا وجولوا واحكموا وتخوّلوا وصولوا وطولوا وانبذوا الزهد وانهبوا
ستعلمُ نفسٌ أي حملٍ تحمّلت ليومِ أسًى من هولهِ الطفلُ أشيبُ
لقد نلتُ من كنزِ القناعة بغيتي وجانبت حرصي والحريصُ معذّبُ

وهكذا أمضى ابن الوردي حياته، عالماً مصنّفاً وشاعراً مفلقاً، بعيداً عن المناصب والمراتب، وجالس العلماء الاكابر، وكان يجله الناس ويحترمونه. وظلّ مقيماً في حلب في درب السفاحية الذي يعرف الآن بالسفاحية[٢١].

أخلاقه:

لقد اتسمت أخلاقه بالاتزان والرصانة والدين، وصبغتها الواقعية بصبغة التفاؤل، ومعرفة بأخلاق الناس وطبائعهم وأحوال الدنيا وأحداثها عُرف بآداب النفس، وآداب المعاملة، يقوم على نظرة جدّية إلى حقيقة الأشياء دون تزييف أو تمويه[٢٢].

وابن الوردي من الذين يتعشقون الآفاق، ويدعون إلى الأسفار، ولايقيمون حداً لمكان الإقامة، فوطن الإنسان هو الأرض التي تطؤها قدماه، وكل فضاء يستظل سماؤهُ، وأهله كل جماعة تقوم بينهُ وبينهم مودة وتربطهم به أواصر الصداقة والمحبة[٢٣].

وكان رجلاً صالحاً، كثير الخيرات، وكثير الزهد والورع والخشية من الله سبحانه وتعالى فمن ذلك قوله:

سبحان من سخّر لي حاسدي يُحْدِث لي في غيبتي ذِكْرا
لأكرهُ الغيبة من حاسدٍ يفيدني الشهرة والاجرا[٢٤]

ومن نظمه أيضاً:

لا تقصدِ القاضي إذا أدبرت دُنياك وأقصد من جواد كريم
كيف تُرجِّى الرزق مِن عند من يفتي بأن الفلسَ مال عظيم[٢٥]

علومه:

تذكر لنا المصادر التي ترجمت لابن الوردي، انه كان إماماً بارعاً في الفقه والنحو والأدب، مفنناً في العلم، ويذكر القمّي[٢٦] أنه الفقيه النحوي، الشاعر الأديب، صاحب التاريخ المعروف برع في الشعر والأدب والنحو واللغة والتاريخ، شاعر أديب، مؤرخ، أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه، تفنن في العلوم، وأجاد في المنظوم والمنثور، نظمه جيد إلى الغاية، وفضله بلغ النهاية، كما برع في النبات والحيوان[٢٧]، وله أبيات يحث فيها على طلب العلم فمن قوله:

أدركوا العلمَ وصونوا أهلهُ من جهولٍ حادَ عن تبجيله
إنّما يعرف قدر العلم مَنْ سهرتْ عيناهُ في تحصيله[٢٨]

وكان كثيراً ما يحدّث أصحابه عن اغتنام علمه وآدابه، وقد ذكر الرحبلي، أنه الشيخ المحقق المتبحر في الافتاء والتدريس والمفنّن في اللغة والأدب وسائر العلوم وشاعرها الفذ المعروف[٢٩].

وفاته:

تذكر أغلب المصادر[٣٠] التي ترجمت له، أنّ وفاته كانت في مدينة حلب في (٢٧) من ذي الحجة عام ٧٤٩هـ، ودفن قبلي حائط المقام، المعروف بمقام إبراهيم، في تربة الصالحين، ملاصقاً لأخيه جمال الدين.

وكان سبب وفاته، إصابته بالطاعون العام الذي عُرف في أوربا (بالطاعون الأسود)، وان من تعاجيب القدر أنّ ابن الوردي، وضع مقامة كاملة عن هذا الطاعون سمّاها (النبا في الوبا)، أرّخ لحصوله وما فعله في الناس، والمدن التي ابتليت به، وما كانت له بمنجاة منه، فخطفه الطاعون في آخر هذه السنة[٣١]، فكأنه ختم ضحاياهُ به. وقد تقبّل ابن الوردي بنفسٍ مطمئنةٍ – بقضاء ربّها – وفاته بالطاعون فقال قبل يومين من وفاته:

ولستُ أخافُ طاعوناً كغيري فما هو غير إحدى الحُسنيين
فإنْ مِتُّ استرحت من الأعادي وإن عشتُ اشتفت أذني وعيني[٣٢]

آثـاره:

سنتكلم في هذا المجال على بعض آثاره للتدليل على تنوّع ثقافته وتشعبها، بما يعطي صورة جديدة عن هذا العالم الجليل والشاعر البارع. ومن هذه الآثار:[٣٣]

١. ديوان شعره:

هذا الديوان يختلف عن الدواوين الشعرية، اذ يحتوي فضلاً عن شعر ابن الوردي نثره الأدبي، فنرى فيه المقامات والرسائل والخطب والإجازات والتهاني وغير ذلك، وقد جمع فيها الشعر والنثر والأدب والنقد جمعاً فريداً.

ويعد هذا الديوان معلماً مهماً من معالم العصر المملوكي الأدبية والنقدية، لأنه يعطينا صورة واضحة عن العصر المملوكي وشعره ونثره ومثله الأدبية ونظراته الفنية وآرائه النقدية، الأمر الذي يجعله ذا قيمة كبرى في دراسة العصر وأدبه، فقد ذكرته الكثير من المصادر الأدبية والتاريخية، وقد جاء في مجلدين، وقد حققه الدكتور أحمد فوزي الهيّب.

٢. ضوء درة الأحلام في تعبير المنام:

وقد ذكرها ابن الوردي في إجازته للصلاح الصفدي[٣٤]، وهي من مؤلفاته وقت الصِّبا، اذ يقول في مقدمتها، يرجو سماحة القارئ

وينبغي لناظرٍ أن يهبا لي ذنبها فتلك من نظم الصِّبا

وهذه الأرجوزة الألفية، تضيف إلى معرفتنا بهذا العلم، تمكّنه في علم تعبير الرؤيا وتفسيرها، وهو علم له أصوله وفروعه[٣٥]. وقد طبعت في مصر سنة (١٢٨٥هـ) بتصحيح عبد الغفار الدسوقي، وقد نشرها الأستاذ عبد الحميد العلوجي مؤخراً، محققةً في مقدار الربع منها في مجلة المورد الغرّاء.

٣. خريدة العجائب وفريدة الغرائب:

وهو مصنف على هيأة موسوعة تضم مباحث في الجغرافيا للأراضي وأقاليمها وبحورها ومسالكها ومفازها، ويحوي بحوثاً نافعة في الحيوانات وخواصها، والنباتات وأنواعها. وجدير بالذكر أن ابن الوردي لم يذكره في إجازته للصفدي، ومعظم منْ ترجموا له، خلا حاجي خليفة، فقد ذكرهُ في كشف الظنون[٣٦]. وهذا الكتاب مطبوع بالقاهرة سنة (١٣٠٣).

ويفرد المؤلف كلاماً طويلاً يقرب من نصف الكتاب، في الكلام على أشراط الساعة وأهوال القيامة.

ومن الجدير بالذكر، أنّ ابن الوردي رسم خارطة للعالم وأقاليمه، أثبتها مصحح الطبعة في المقدمة، وهي بالرغم من قصورها عن خارطة الشريف الادريسي، إلا أنّها تضيف إلى معلوماتنا شيئاً جديداً عن ابن الوردي، وهو تضلّعه في علم الجغرافية ورسم الخرائط، ولعلّ أهل الشأن، لهم رأي إذا نظروا فيها ودرسوها.

وقد علّق الأب أنستاس الكرملي على هامش هذا الكتاب، أنهُ تُرجم إلى اللاتينية والفرنسية[٣٧]، وهذا الكتاب غير محقّق.

٤. قلادة الدّر المنثور في ذكر البعث والنشور:

وهي أرجوزة في (١١٩) بيتاً، رائية الرّوي، ساقها في آخر الكتاب السابق، وقد فصلتها ونعدها كتاباً مستقلاً، لاستقلال عنوانها ومشابهتها للطريقة التي ولع ابن الوردي بها في الاحتفال بالاراجيز والنظم العلمي.

٥. تتمة المختصر في أخبار البشر:

وهو جزءان في الطبعة المصرية سنة (١٢٨٥هـ) ، ووصل به الحوادث من سنة (تسعٍ وسبعمائة) التي وقّت عليها الملك المؤيد صاحب حماة تاريخه (المختصر في أخبار البشر) إلى سنة (٧٤٩هـ) وهي سنة وفاة المؤلف، فترك الكتاب ناقصاً بلا تتميم.

وقد طبع في النجف طبعتين أُخراها سنة ١٩٦٩م نشراً من دون تحقيق، وهذا الكتاب يضيف إلى هذه الشخصية صفة الاعتناء بالتدوين التاريخي.

٦. منطق الطير:

وهي رسالة في الأدب الصوفي، وقد ذكرها ابن الوردي في إجازته للصفدي، وقال عنها:

(... ومنها رسالة منطق الطير، نثراً ونظماً وفيها أدب صوفي وما لا يحضرني الآن ذكره ...)[٣٨].

ويبدو لنا أنّ عنوانها وموضوعها مشابهان لرسالة (منطق الطير) لـ(فريد الدين العطار)الرمزية والصوفية[٣٩]، ولكنها مفقودة ولعلّ الأيام تكشف عنها، فتبيّن لنا صنيع ابن الوردي في الأدب الصوفي[٤٠].

٧. أرجوزة في علم الأحجار والجواهر:

وقد ذكرها ابن الوردي في إجازته للصّفدي[٤١]، وهي مفقودة ولكنها تضيف إلى معرفتنا بهذه الشخصية، علمهُ بعلم الجواهر والأحجار وأنواعها، وهو ممّا أضيفه على هذه الشخصية.

٨. نظم البهجة الوردية:

في (ثلاثة وستين وخمسة آلاف) بيت، أتى فيها على الحاوي الصغير بغالب ألفاظه، وأقسم بالله لم ينظم أحد بعدهُ الفقه إلا وقصر دونه.

٩. ضوء الدرة على ألفية ابن معطي.

١٠. شرح الألفية لأبن مالك.

١١. اختصار الألفية لابن مالك.

١٢. الرسائل المهذبة في المسائل الملقّبة.

١٣. قصيدة اللباب في علم الإعراب وشرحها .

١٤. تذكرة الغريب في النحو .

١٥. المسائل الملقبة في الفرائض.

١٦. النفحة وهي اختصار ملحة الإعراب .

١٧. تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة(٤٢).

المبحث الثاني

المحور الأول: (توطئة حول شعره)

بين أيدينا ديوان ابن الوردي مطبوعاً ومحققاً، حوى ما فاضت به قريحتهُ من الشعر وأغراضه، والنثر وأصنافه مع المقامات والاجازات العلمية التي أجازها لبعض فضلاء عصره.

وتفيد مقدمة الديوان، أنّ ابن الوردي جمع ديوانه في حياته ورتّبَهُ، فإنهُ يقول: (...فإني أُمرْتُ ان أكتب في هذا الكتاب شيئاً من نثري ونظمي وها أنا قد أثبتُّ عليّ به مسطوراً، يشهد بقصور فهمي...) [٤٣].

ولا ندري أمر مَنْ أئتمر به، في شأن جمع أشعاره ونثره، ويفيدنا في المقدمة أنهُ انتخب من شعره ونثره، فأعمل التمحيص فيهما، يقول: (وما أثبتُ في هذا المجموع من نثري إلاّ اليسير، وذلك نحو الثلث والثلث كثير، وحذفت من نظمي، مالم أعبأ بحذفه، وألححتُ عليه حتى صيّرتهُ على نصفه) [٤٤].

إذاً فابن الوردي، قد حبا قُراءَهُ بصفوِ شعره وجيّد نثره، لكننا نقرأ في ختام ديوانه عبارة تتصدّر لاميتهُ الشهيرة (اعتزل ذكر الأغاني والغزل) ويقول: (وممّا ينسب إليه، وقد اشتهر عند الخاصة والعامة، ولكن لم توجد في ديوانه)[٤٥]، وهي مُشعرةٌ أنّ ديوانه اشتهر ولم تكن فيه هذه اللامية، وأنّ إضافتها من صنع جامع الديوان وكذلك الأمر في مقامته (النبا في الوبا) وقد مرّ الكلام عليها، وفي هذه

وتلك، ننقضُ دعوى ابن الوردي عندما ذكر أنه هجر نظم الشعر، وصرف قلمهُ عن النثر، اذ يقول: (ثم إني بعد جمع هذا الكتاب، هجرت المنظوم هجراً جميلاً، وطويت نشر المنثور الا قليلا...)[٤٦] .

ولا يستطيع أديب، شاعر وناثر كابن الوردي، أن يُلزم نفسه وقلمه بهذا، فالقريحة الجياشة والنفس الشاعرة تأبى هذا، وتُضاد كلّ دعوى.

ولو أنعمنا النظر في ديوانه، رأينا خُلوّهُ تماماً من الأغراض التي وَلَعَ بها الشعراء قبله من التكسب بالمديح وطرق أبواب السلاطين والأمراء وذوي الجاه، وبذل ماء الوجه في سؤال أو رتبة، ومثل هذا مقول في الهجاء، فلا نجد في ديوانه، اللسان السليط ولا الهجاء المقذع في الناس، ولا اللجاجة في الخصومة كبيرها وصغيرها وهو يقول عن نفسه: (ومن أغناه الله تعالى بفضله، شرفت نفسه عن الاكتساب بالمدح، ومَنْ سالمهُ الناس وسالمهم، استغنى عن الهجاء والقدح...)[٤٧].

ومن ثم، خلص شعره من أهمّ غرضين، أفنى فيهما الشعراء حياتهم وقرائحهم، وما ذلك إلا لِما حبا الله تعالى ابن الوردي، من أدب عالٍ وشخصية مثقفة ودين عميق ونسب عالٍ متين، زادهُ اتيان هذه الموارد، وأضيف الى هذا ان البيئة التي دارت فيها هذه الشخصية وعاشت، كانت بيئة علمٍ وعلماء وقضاة، طبعت في هذه النّفس الشاعرة أعرافها وصفاتها، ممّا انعكس على شعره، فضمرت وتلاشت صفة المدح التكسبي والهجاء.

وكما أنّ حركته في هذا المحيط الآنف الذكر. مكّنهُ من اقامة أوثق العلاقات الاجتماعية مع فضلاء عصره، وحصّنهُ من مدِّ جسور العلاقة مع امراء المماليك، ممّا جعلهُ في منأى عن الصراعات السياسية التي عصفت ببلاد مصر والشام على عهد دولة المماليك الأولى.

وهذه مواقفهُ من شعره:

كرهتُ وضوءاً من قناةٍ تساق من دَمٍ للرَّعايا أو بسخرةِ مسلم
سيشرق في يوم الحسابِ ندامةً كما شرقتْ صدر القناة من الدّمِ[٤٨]

ومن كان هذا موقفه، فانهُ لا يلابس حاكماً ولا سلطة ويقول:

غِنايَ عن مال غيري أعزَّ نظمي ونثري
فالله يجعل موتي قبل اكتسابي بشعري[٤٩]

ويقول:

والله لا هجوتُهُ ولا التفت نحوَهُ
مَنْ لست أرضى مدحهُ فكيف أرضى هجوَهُ[٥٠]

ويقول:

وما أنا شاعرٌ حاشا علومي ولستُ أرى التكسّب بامتداح
فلي من نعمة الرحمن مالٌ يصونُ عن احتياج واجتياح[٥١]

لذلك أرضى شعرهُ وأغراضهُ فيه معاصريه من العلماء ومن شعراء العلماء، فوصفوه بأغلى الأوصاف، فالصلاح الصّفدي يقول عنه: (...وشعرهُ أسحرُ من عيون الغيدِ، وأبهى من الوجنات ذوات التورد) [٥٢].

والسبكي في طبقاته الكبرى يقول: (وشعرهُ أحلى من السكّر المكرّر، وأغلى قيمة من الجوهر) [٥٣]. وقال عنه آخرون: (إنهُ جمع بين الحلاوة والطلاوة والجزالة)[٥٤]. وفي هذه البيئة وفي هذا الاطار الخلقي الصارم الذي يطبع نفساً مؤمنة، جرى شعرهُ وتأطّر، وخلا ممّا كان لغيره، من مدحٍ أو هجاءٍ، غايتهما الزُلفى وامتهان النفس واذلالها.

وفي إطار هذه البيئة زخرت صفحات ديوانه من المنثور والمنظوم في تدبيج القصائد والمقطعات في الأغراض الاخوانية والحكمة والفخر والرثاء والوصف والمديح النبوي والشكوى...الخ.

المحور الثاني

شعر الاخوانيات

مفهوم شعر الاخوانيات

لون من النظم، يمكن أن يطلق عليه شعر المودّة والمحبة، (الذي يديم التواصل بين الأحباب والأصحاب، وكثيراً مايقوم مقام الرسائل النثرية التي تكتب في مناسبات كثيرة، إذ نجد فيه التهنئة، أو العتاب أو الاعتذار، أو طلب حاجة، أو إنجاز وعد، أو دعوة إلى مسامرة، وأحياناً يكون للممازحة والدعابة والملاطفة والمفاكهة الذهنية) [٥٥].

كما إنّ هذا الشعر بطبيعته النفسية (يمثل اتجاهاً من انسان الى انسان آخر أو يقاربه، أو يرتفع قليلاً فوقهُ، ان هذه الحدود التي ترسم العلاقة بين الشاعر وصاحبه الذي يتحدّث اليه، ذات تأثير كبير جداً في الصورة الفنية التي يمكن أن يتجلْبب بها هذا النوع من الشعر) [٥٦].

نفهم من هذا أنّ الشاعر في هذا اللون يتحدّث الى نوعين من الناس: الى منْ يفوقهُ، كأن يتحدّث إلى عالمٍ أو فقيهٍ أو مُفتٍ، أو ذوي سلطان، والى مَنْ يماثلهُ ويشابههُ. ففي الحالة الأولى: لا تسقط الحدود مرة واحدة بين الشاعر وصاحبه، يبقى هناك هذا الشعور بالمكانة المتميزة للإنسان المتحدّث اليه، وقد يقود هذا التميز الى محاولة ابداع.

ولكن يحسن ألاّ ننسى أن الشاعر حتى في هذه المواقف لايريد جانب التمجيد، بمقدار ما يريد جانب المباسطة والمقاربة أي جانب الاخوانيات.

وأمّا في المواقف الثانية، فإنّ المماثلة تدفعهُ في اتجاهات أخرى، في الاخبار أو الدعابة أو المعاتبة أو النكتة وما الى ذلك.

ولهذا فإن شعر الاخوانيات القويّ (ليس سهلاً على الشعراء لأنه يحتاج الى رصيد من الارث الشعري الذي يليّن بين يدي الشاعر كل الألفاظ والتعابير، ويجعله قادراً أن يصب ضمن الموسيقى الشعرية ما يشاء، وهذا لا يقوى عليه الاّ القادرون)[٥٧].

أما شعر الاخوانيات الإعتيادي الذي لا تدعمه هذه القُدرات فانه شعر آخر، مخالف في منطلقاته وموضوعاته وطوابعه للشعر الاخر، (إنهُ ينبع من الذات الفردية ويدور أكثر دورانه حولها، فهو مرتبط بواقع الشاعر وحياته وأمكنته، وأحاسيسه، وفردية هذه الروح، وجزئيات هذه المواقف، وسهولة هذه المعاني، ورشاقة بعض الزينات اللفظية، لا تجعل منه شعراً أدنى وإنّما تجعل منه شعراً آخر مغايراً ... وكل هذا صحيح إذا استوفى شعر الاخوانيات شروطه، وإذا كان العكس، كان من متكلف القول الذي لا يرضي)[٥٨].

وقد احتفظ شعر الاخوانيات في العصر المملوكي ببهجة الصحة والعافية، فإنهُ لم يكن كذلك في العصر العثماني، فلقد نزل الى مطالب الحياة المتعددة وأرهقته الصنعة وأعباء التكلّف، حتى غدا لوناً من ألوان الضعف وصورة من صور الانهيار.

وقد عرفت العصور الادبية السابقة هذا اللون من الشعر، ونظم فيه الشعراء وأكثروا، (فكم شهدنا الشعراء العباسيين يهنئون أميرهم أو حبيبهم بالشفاء من مرضه، أو بحلول العيد السعيد، أو نجاته من مكروه... وكم طالعنا دواوين الشعراء العباسيين بقصائد الود والمحبة والصداقة بين الشعراء وأحبابهم وإخوانهم وتعد ندوات المسامرة والمجالس الأدبية التي تقام في منازل الأمراء والأدباء وسراة القوم، مجالاً رحباً لنظم الشعر الاخواني، وكانت تعقد في أوقات خاصة، وأحياناً تسوق المصادفة أو المناسبة إلى هذا الانعقاد)[٥٩]. ومن يتخلف عنها من روادها، يُسأل عن سبب التخلف، فها هو ذا حسن عبد الباقي الموصلي (ت١١٥٧هـ) يُدعى إلى أحد المجالس الأدبية، وتعيقه شدة هطول المطر، وسوء صحته عن تلبية الدعوة وينظم أبياتاً، ويرسلها الى صاحب تلك الدعوة قائلاً[٦٠]:

حسد السحابُ ندى يمينك إذ رأى منه النُظار يسيلُ سيلَ الماءِ
فأعاقني وحلُ الطريق وبعض ما ألقاهُ في جسدي من البرحاءِ
كم من صديق لايزورُ صديقهُ فرطُ الزيارة شيمةُ الاعداءِ

والشيء بالشيء يذكر، كما يُقال، فإنّ الجبرتي ذكر في ترجمة قاسم بن عطاء الله المصري (ت١٢٠٤هـ) ما نصّهُ: (اجتمع يوماً في مجلس به جماعة من الأدباء كالشيخ محمد ابن الصلاحي (ت١١٨٠هـ) والشيخ عامر الزُّرْقاني وكان الوقت مطيراً، وقد جادت السماء، فأعطت من قطر السحاب، درّاً وعبيراً، فقال ابن الصلاحي مرتجلاً[٦١]:

لقدومكم ضحك الغما مُ فعلَّمَ العينَ البُكا
ماذاك إلاّ أنّهُ لنوالِ كفّك قد حكى

فقال قاسم بن عطاء المصري في الحال:

أفديكَ بالعينين يا نجل الصلاحِ مع الذُكا
هطل الغمام كأنّه لعزيز جاهك قد شكا

وهكذا كانت المجالس الأدبية، تستدعي ارتجال الشعر والتراسل به في مقطوعات شعرية، تفتقر إلى الإبداع المنبثق من خيال خصب، يفيض بالصور الفنية المعجبة الا ما ندر.

شعر الاخوانيات عند ابن الوردي

يشغل هذا اللون من الشعر في ديوان ابن الوردي حيزاً يزيد على ٤٠% في موضوعات قصائده ومقطّعاته فإنه يكشف عن جانب مهم في شخصية هذا الشاعر، فيبدو أنه كان أميلُ إلى الألفة والمحبة والإنسجام الاجتماعي، في حين توزّعت بقية الأغراض في ٦٠% ومن ضمنها المقامات والكتب النثرية والإجازات لفضلاء عصره، وبعض المدائح النبوية.

انّ ما يشغله شعر الاخوانيات من حيز في الإنتاج الشعري في شعره، يقدّم لنا صورة عن حياته في غير ما سطّرته لنا التراجم في كتب الرجال والطبقات، ويوضح لنا هذه المهمة التي ماعاقتها ظروف القضاء والنيابة في الاحكام والتدريس بعد ذلك والتأليف، عن مخالطة العلماء ومدارستهم، ومخالطة الناس والاتصال بهم، ولابن الوردي نظرته السمحة في معاملة الاخوان يقول[٦٢]:

تجنّب أصدقاءك أو تغافلٍ لهم تظفر بودّهم المتينْ
وأن يتكدّروا يوماً فَعُذْراً فإنّ القوم من ماءٍ وطينْ

وهذه النظرة عالية، فيمن أراد مخالطة الناس ومعاشرتهم فما طبعت قلوبهم على طابع واحد وهم بشرٌ، فمن أراد معاشرتهم حلّى نفسه بحلية التغافل عن صغائر الأمور ووسّع صدره، لما يبدو من أخطائهم، فالماء والطين ممتزجان في خلقة هذا البشر، ولايسلم له أن يبقى خالصاً أبداً، وإلاّ فالاعتزال خيرٌ لهُ وأنفع.

ومن هذا الباب الذي يُفضي بنا الى نظرته في الصداقة والأصدقاء، نجد أنّ ابن الوردي حظي بهذا الادب العالي، مكانة عالية في نفوس معاصريه، فكاتبوه وكاتبهم ومدحوهُ ومدحهم، وشاركوهُ في شؤون الحياة وشاركهم.

أغراض الاخوانيات عند ابن الوردي

لو دققنا النظر في ديوانه، لوجدنا أنّ أغراض هذا اللون من الشعر قد تنوّعت عنده ومنها:

١. العتاب: ونجد ملامح من شخصيته المهذّبة في نظرته الى مفهوم العتاب بين الاخوان فهو يقول[٦٣]:

سيّدي قد بدأتني بكتابٍ فيه ألفاظ منْ أُحبّ فعاتبْ
أنت كاتبتني لترفع قدري كنتُ عبداً لكم فصرتُ مكاتبْ

فهو لا يرى العتاب غضاضةً، ممّن يعاتبه، بل يُعدّ نفسهُ عبداً لهُ قد كاتبهُ، وفي هذا الأمر استراق من مفهوم (المكاتبة) للعبيد، وهو ما يجعل السيّد لعبدهِ من مال لقاءَ عتقه ومن هذه النظرة نجد عتاباً رائعاً ساقه الى الشيخ ابن الزملكاني لما لم ينقلهُ وقت نيابتهِ الى مكانٍ غير التي كان فيها، ويبدو أنها (منبج) يقول[٦٤]:

محبّتي تقضي بمكثي هنا وحالتي تقضي بأن أرحلا
حسبت في أيامكم رفعة ومـــاخشيتُ الـدهر أنْ أنـــزلا
وقلت منْ يرضى حمولي إذن فكنت أنت المحسن المجملا

ويُمثّل في حوارٍ شعري مع رسول قاضي القضاة – وكأنهُ النذير بالشؤم – حاله مع الزمان ومناصب القضاء، ويستعير له معاني رائعة من النحو ومصطلحاته والفقه ولايغضّ في كل هذا من قدر معاتَبه (بفتح التاء) ويحفظ له بعد طويل العتاب حقّه، لكنّه يخلص الى قرار يُعلنهُ هو:

تاللّه لا باشرتُ من بعدها حكماً ومَنْ يرضى بهذا البلا[٦٥]

٢. الدعابة والفكاهة:

وأكثرُ ما ورد في ديوانه منها مقطّعات خفيفة على النفس، تُبرز لنا جانب الظرافة والمزاح في شخصه، ومنها في رفيق سفرهِ فتح الدين[٦٦]:

بفتح الدين شرّفنا رفيقٌ وافِرُ الفضلِ
أيخشى القفلُ من لصٍّ أليسَ الفتحُ في القفلِ

ومنها يلاطفُ صاحباً لهُ اسمهُ بيضو[٦٧]:

لئن طهّرتَ ثوباً دون قلب فطُهرُ الثوب دونَ القلب حيضُ
تكلُّ عن العُلا لو صرتَ فرخاً وقرناصاً فكيفَ وأنتَ بيضُ

ومن هذين الأُنموذجين، نراه يخلط المزاح بالجدِّ، والهزل بالنصيحة، ليبلغ نفس الصديق فيؤثر فيها، وليُبْلغَهُ ما يريدهُ، عن طريق حسن التلاعب بالأسماء، فيشتق لها معاني، تلطّف نفس الصديق في قالبٍ من القول السهل غير الصعب.

٣. المساجلات الاخوانية:

وهي ما يتطارحهُ صديقان – أحدهما شاعر أو كلاهما– من فنون النثر والنظم في شؤون شخصيّة بينهما، ويحرص الطرفان على أن يتّفق المنثور أو المنظوم في البحر والقافية والرّوي ، ومن هذا المقتضى، تتفق المساجلات في الشكل الفني مع المعارضات الشعرية والنقائض، وتختلف عنهما في أنّ المساجلات تتم بين شخصين على قيد الحياة، في حين تكون المعارضات في أكثر الأحيان بين

قصيدتين، لشاعر ميّت وآخر حي على قيد الحياة، وكذلك تتنوّع مواضيع المعارضات من مدح للرسول (ص) أو غزلٍ أو رثاءٍ لفردٍ أو جماعات، في حين تنحصر المساجلات الاخوانية في الجانب الشخصي لا تتعدى سواه[٦٨].

والمساجلات الاخوانية غير النقائض في الجانب الموضوعي، فمدارُ النقائض هو الهجاء والثلبُ، ونزعة غلبة الخصم المقابل، في حين تدور المساجلات على المودة والمواصلة بين الإخوان.

والملاحظ على مساجلات ابن الوردي مع أصحابه العلماء واساتذته، أنّهُ لا يذكر من قصيدة المقابل إلاّ مطلعها أو بيتين منها، ويورد بعدها قصيدته المعارضة في الجواب عنها، وهذا ضيّع علينا فائدة التعرف على قابليات الشعراء من العلماء لو أورد ما قالوهُ كاملاً، وكذلك ضيّع علينا فرصة القول في الحكم النقدي على مابين أيدينا منها. ولعلّ ما ذكرناه عن إلحاحه في اختصار ديوانه وتنقيحه قد سبب هذا.

ومن صور هذه المساجلات الجميلة، ما قاله في شيخه (شهاب الدين بن المرحّل[٦٩]، وقد حضر لهُ حلقة تدريسية، ومنها:

عرقتُ حياءً من حضورك ذاهلاً بفضلك عن سن المباحث والنقدِ
وجئتَ ببحثٍ أعجبتك فنونه ولولا حيائي كنتُ أبدعتهُ جهدي
وليسَ حياءُ الوجهِ في الذئبِ شيمةً ولكنّها من شيمةِ الأسدِ الورد[٧٠]

وفي هذه الأبيات ما يسحرُ معناهُ، فضلاً عن أدبهِ وجودة صنعته، في تعرّف العلاقة العلمية بين تلميذٍ تصدّر للإقراء ويحضرهُ شيخه الذي تخرّج على يديه، وما تنفعل به نفس التلميذ من هذا المشهد.

ولاحظنا أيضاً، أنّ ابن الوردي اذا رأى طول قصيدة صاحبه وطول جوابه عنها، فإنه يورد من قصيدة صاحبه مطلعها فقط، ويورد جوابهُ عليها كاملاً.

فصديقهُ ابن فضل الله العمري – صاحب الموسوعة الشهيرة مسالك الابصار – يخاطب صديقه ابن الوردي، يشكو له بَرْد دمشق وثلجها في قصيدة سمّاها ابن الوردي (الشتويات).

وأرجح الظنّ، أنّ العمري صنع قصيدة بائية طويلة، صدّر بها شكواه، فلم يثبت ابن الوردي منها غير المطلع، وأورد بعدها (٣٥) بيتاً بائياً جميلاً في مساجلتها وملاطفة صاحبه ومدحه[٧١].

ويؤيّد ما نذهب اليه، أنّهُ اذا رأى المساجلة قصيرة أثبتها مع ردّه عليها[٧٢].

ولعلّ ابن الوردي، فيما يبدو لنا، أراد لديوانه بعد تنقيحه، أن يحوي شعرهُ هو، فاستعاض بالاشارة الى مادحيه في عنوانات قصائده نثراً، مع ذكر بيت من مطلع كل قصيدة شعر.

المبحث الثالث

السمات الفنيّة

بعد هذه الرحلة في أشعار الاخوانيات عند ابن الوردي، لابدّ من استجلاء الخصائص الفنية لهذا الفن الشعري، ذلك أنّ الشعر فن لغوي تتوافر فيه مجموعة من الخصائص التعبيرية تميّزه من فنون الأدب الأخرى، ومن البديهي أيضاً أنّ كل شاعر لغته الشعرية هي التي تميّزه من إفراد فنّه الشعري[٧٣]، وهذا التمايز ناتج من اختلاف ثقافة الشاعر ومعجمهُ الشعري، والغرض الذي ينظم فيه.

ومن خلال القراءة الفاحصة لأشعار الاخوانيات لدى هذا الشاعر، استطاع البحث الوقوف على سمات فنية وَسَمت لغة الشاعر منها:

١. السهولة الممتنعة:

نقصد به الأسلوب السهل المبسّط، يفهمهُ الخاصيّ والعاميّ، ولكن اذا شئت تقليدهُ عجزت، لذلك هو ممتنع.

هدف الشاعر، تقريب الكلام الى الافهام باسلوب جزل سهل، فالمفردات بسيطة لا تعقيد فيها، قريبة من الفهم، فقد تميّز شعرهُ بأنهُ الشعر السهل الممتنع وبالأخص قصائد الاخوانيات. فقد كانت لغة هذه القصائد سهلة وواضحة، فإنّ مذهبهُ الشعري واضحاً لا لبس فيه، اذ يقول(٧٤):

اذا أحببت نظمَ الشعر فأخترْ لنظمك كلّ سهلٍ ذي امتناعِ
ولاتُكثرْ مجانسةً وَمكّنْ قوافيه وكلْ ِهُ إلى الطباعِ

نفهم من خلال هذين البيتين، أنّ ابن الوردي قدّم تقريراً واضحاً عن مذهبه الشعري، يُرينا أنهُ يُؤثر في الاخوانيات الشعر السهل لا الصعب العويص، الذي يستغلق على الافهام وليس السهل وحدهُ، بل السهل الممتنع الذي إذا مارآهُ القارئ، ظنّ أنهُ يبلغهُ ويفوقه، فاذا أراد مجاراته عجز وانقطع.

٢. صدورُ شعرهِ في الاخوانيات، عن الطبع، لا الكدِّ والتكلّف والتصنّع، ليجيء الشعر عفو الخاطر، بريئاً من معايب التكلّف، مع قدرٍ من الصنعة الشعرية التي تتطلبها هيكلة القصيدة ونظامها.

٣. الاقتصاد في فنون البديع: وهذه السمة تحسبُ للشاعر ابن الوردي حيث تبدو واضحة في شعره، إذ كان ينفر من كثرة الجناس التي أولع بها الشعراء من قبله ومن بعده، فهو لا يرى كثرة الاحتفال بهذا النوع البديعي، ويدعو الشاعر المبتدئ الى الاقلال منه، وهو غير مكثر منه، لا في اخوانياته ولا في سائر شعره ومنه قوله(٧٥):

زوجة مجد الدين والداها في أخذِ عرض المجد أشبهاها
إنّ أباها وأبا أباها قد بلغا في المجدِ غايتاها

وهو جناس لطيف جداً اذ جانس بين اسم صديقه (مجد الدين) وبين المصدر (المجد) الواقع في الشاهد النحوي المشهور.

٤. تمكين القوافي: ويقصد به، أن تكون القافية في مكانها الملائم، غير قلقةٍ ولانابيةٍ ولامضطربةٍ. وتعبيرُ ابن الوردي (التمكين) في مكانهِ تماماً، ويحسن أن نتخذه مصطلحاً، يفيدنا في دراساتنا الأدبية في التعبير عن قوة القافية، وتلاؤمها مع السياق الشعري في البيت والقصيدة.

٥. التضمين: هو أن يعمد الشاعر الى أخذ صدر بيت أو عجزهِ، ليضعهُ في سياق شعرهِ، مفيداً من شهرة البيت أو القصيدة وشهرة قائلها، ليحقق لشعره، مرتبة أعلى في الصياغة والصنعة. وابن الوردي مولعٌ أيّما ولعٍ في هذا المجال، وقلَّ أن نجد صفحة في ديوانه، خالية من تضمين شعرٍ لغيره، وقد تعرّض لنقد صلاح الدين الصّفدي، فيما أوردهُ ابن حجر العسقلاني:

(... وذكر الصّفدي في أعيان العصر، أنهُ اختلس معاني شعره، وأنشد في ذلك شيئاً كثيراً، ولم يأت بدليل على أنّ ابن الوردي هو المختلس، بل المتبادر الى الذهن عكس ذلك، نعم استشهد الصفدي على صحة دعواه بقول ابن الوردي:

وأسرقُ ما أردتُ من المعاني فإنْ فقتُ القديم حمدتُ سيري
وإن ساويته نظماً فحسبي مساواة القديم وذا لخيري
وإنْ كان القديمُ أتمّ معنى فهذا مبلغي ومطارُ طيري
وإنّ الدرهمَ المضروبَ باسمي أحبّ إليَّ من دينارِ غيري(٧٦)

وهذا اعتراف صريح لا مُواربة فيه، أنّ الرجل يريد بمسلكه هذا، أن يجاري القدماء وينافسهم، فإن غلبهم فذاك مناهُ وطلبه، وإنْ ساواهم فحسبهُ ما وصل اليه من جودة الصنعة وقوّتها.

وأكثر منْ لحظتهُ مضمّناً لشعرهم في شعره، أبو العلاء المعري، وكأنهُ أراد أن يلفت الاذهان الى شاعريته هو، بطريق الافادة من شعر سلفهِ، لكنّهُ مع ذلك لم يُفِدْ من شعر المديح النبوي وفي التغني ببعض الفتوحات على الصليبيين، عن طريق تضمين اعجاز القصائد أبياتاً من غُرر شعر المعري مثل قوله[٧٧]:

أدِرْ أحاديثَ سلعٍ والحمى أدِر (والهجْ بذكرِ اللّوى أو بانه العطر)
واذكر هبوبَ نسيمَ المنحنى سحراً (لمّا تمرُّ على الازهارِ والغُدُر)

وتقع القصيدة في (تسعين بيتاً) لم يجد ابن الوردي غضاضة في أن يكون المعري مناصفاً لهُ في صوغها وحبكها.

ومثل قوله أيضاً[٧٨]:

وقفْ على الجزْعِ واذكرني لساكنهِ لعلّ بالجزع أعواناً على السَّهر
إذا تبسّم ليلاً قُلْ لمبسمه يا ساهرَ البرقِ أيقظ راقد السَّمر

فقد أفاد من شعر المعري في المديح النبوي وكان مطلع قصيدته:

يا ساهرَ البرقِ أيقظ راقد السّمر لعلّ بالجزع أعواناً على السَّهر

أمّا الاخوانيات فإنهُ يضمّنها من شعر البهاء زهير (ت٦٥٦هـ) من موشحته المشهورة:

(يا أفضل مرسلٍ كريمْ ما ألطفَ هذهِ الشمائلْ
من يسمعْ لفظها تراهْ كالغصنِ مع النسيم مائلْ) [٧٩]

وممّا أخذهُ من الشعر الرّفيع، قول عوف بن أبي محلم، لمّا بلغ الثمانين:

إنّ الثمانين وبُلّغْتها قد أحوجتْ سمعي الى ترجمانْ

فإنّ ابن الوردي أدخلها في شعره فقال:

يا ترجماناً لي ثمانون في ذمّته منْ عزَّ بالمطلِ هانْ
إنّ الثمانين وبُلّغْتها قد أحوجتْ سمعي الى ترجمانْ[٨٠]

والقارئ يرى حسن الدعابة في هذين البيتين، فقد أفاد من كلمة (الترجمان) ليربط بين عتابهِ لترجمانٍ بعينه مع الوارد في بيت عوف ابن أبي محلم المشهور.

٦. كثرة إيراد مصطلحات العلوم والفنون: وهذا راجع الى مستويات الخطاب الشعري عند ابن الوردي فإنهُ خاطب في معظم اخوانياته، أساتذتهُ وزملاءَهُ من الشيوخ والقضاة ونوّابهم، وهذا المستوى يقول عنه الدكتور بكري شيخ أمين: (لا تسقط الحدود مرة واحدة بين الشاعر وصاحبه، يبقى هناك هذا الشعور بالمكانة المتميزة للإنسان المتحدّث إليه، وقد يقود هذا التميّز إلى محاولة إبداع)[٨١]. وجانب الإبداع في هذا المجال واضح أيّما وضوح في شعر ابن الوردي، فما قولنا في تسابقه مع جمال الدين (ابن نباته) صديقه

في الإغارة على (ملحة الاعراب) لأبي القاسم الحريري، المنظومة النحوية الشهيرة، فقد ضمّن ابن نُباتة المصري، معظم أبيات (ملحة الاعراب) في قصيدة مدح بها الشيخ (تقي الدين السبكي) ، يقول الشيخ تاج الدين السبكي: (وقد أخذ شاعر عصرنا الشيخ جمال الدين بن نباتة، أكثر أبيات (ملحة الاعراب) للحريري، فصنّفها وجعلها قصيدة، امتدح بها الشيخ الامام الوالد وهي:

(صرفتُ فعلي في الاسى وقولي بحمد ذي الطّول الشديد الحول
كلامك الفاسِدَ لستُ أتبعْ حدّ الكلامِ ما أفادَ المستمع)[٨٢]

أمّا ابن الوردي فقد جارى ابن نباتة، فضمّن أبيات (ملحة الاعراب) في قصيدة غزلية ومنها:

(بسيف جفنِهِ قتلتُ نفسي فإنّهُ ماضٍ بغير لبسِ)[٨٣]

ومنها:

(إعجبْ لنون حاجبيه تُنصَرُ والنونُ في كلّ مثنى تكْسَرُ)[٨٤]

وهذه المباراة في تضمين (المُلحة) في غرضي المديح والغزل، توضّح صنعةً شعرية عالية لهذين الشاعرين الكبيرين.

ومن هذا ننطلق لنتعرّف ما أوردهُ ابن الوردي في شعره الاخواني من مسائل العلوم والفنون، يقول:

(أنا إنْ سافرتُ عنكم لأبصرُ عندك صوره
فيَّ تعريفٌ وعَدْلٌ فانصرافي للضروره)[٨٥]

وهذان بيتان لطيفان، اقتبسهما من النحو في باب الممنوع من الصرف لعلّة التعريف والعدل، ليسوقهما في حسن التعليل لانصرافه ومغادرته، فهو هنا مصيب مجوّد في الافادة من النحو.

ومن هذا القبيل، ما أوردهُ في معاتبته للقاضي ابن الزّملكاني، من تضمين رائع لأبواب من الفقه والنحو، فمن الاول يقول:

(أيقنت في أيّامِك البيع والصر فَ ومادافعَ باب الولا
إني الى التفليس ماضٍ اذا أهملت هذا الأمرَ مستقبلا)[٨٦]

وفي البيتين تضمين لأبواب البيع والصرف وباب الولاء والتفليس، ومن الثاني قوله:

(قال انصرف قلت انصرافي على مذهب أهل النحو لن يجملا
فالعدلُ والتعريف عندي ولي منزلة في النحو لن تجهلا
قال أضفناك الى منصب آخر فالصّرف أرى أمثلا)[٨٧]

والأبيات واضحة في إجادته، في الإفادة من المقابلة بين مصطلحات النحو، وما يريدهُ من إيصال عتابهِ لأستاذه. ومن جميل تضمينه لأسماء الكتب، ما خاطب به القاضي شهاب الدين بن فضل الله اذ يقول:

(عذاركَ ملحةٌ بعد اختتام تقول: أقولُ من بعدِ إفتتاح
وثغركَ جوهريّ النظم يُعزى غريبُ الحسنِ فيه الى الصحاح)[٨٨]

وهو هنا يضمّن (ملحة الاعراب) للحريري و(معجم الصحاح) للجوهري في مديحه لصديقه.

وتكثر الشواهد في شعره، اذا أردنا الاستقصاء والتوسّع، وابن الوردي حقّق في هذا المجال من اخوانياته، مخاطبة أقرانه بما يفهمونهُ، وقصد الإبداع فيما يريدهُ، من ايراد ألفاظ العلوم والفنون والكتب في شعرهِ، فوفّق في جانبٍ كبير منها.

٧. الاقتباس من القرآن الكريم: وهو أن يقتبس الشاعر كلمة أو عبارة من القرآن الكريم ويضمّنها في شعره، ويتجسّد ذلك في قوله:

(أحلّ الضيوف على سطحه وفرجهم في نجوم السما
وقطّع بالجوع أكبادهم وإنْ يستغيثوا يغاثوا بما)[٨٩]

فالشاعر قد اقتبس من سورة الكهف قوله تعالى:

(وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)[٩٠].

كذلك اقتباسه من صيغة الصلاة على الرسول (ص) وفيها طرافة يقول:

(سجّادةٌ اذكرتني فيك الذي كنتُ أعلمُ
أهديتها لمحّبٍ صلّى عليها وسلّمْ)[٩١]

كذلك قوله:

(أرى أناساً حرصوا حتى أزالوا شينَهم
كأنّهم لم يقرأوا (نحن قسمنا بينهم)[٩٢]

٨. حُس التخلّص: وممّا وردَ في شعره، من حسن التخلّص من الغزل إلى المديح، ما قاله في مدح القاضي شهاب الدين بن فضل الله، فبعد مقدمة غزلية من (ثلاثة عشر بيتاً) تخلّص الى المديح بطريقة بارعة، يقول قبل التخلّص:

(فإن أكنْ اجترحت هواكَ ذنباً فيكفيني جراحي باجتراحي
يحقُّ لمنْ لحاني فيك ذمّي وَحُقَّ لكاتبِ السِرِّ امتداحي
ولست سوى ابن فضلِ الله أعني شهاب الدين ذي الغرر الملاح)[٩٣]

وفي العموم، فإنّ ابن الوردي لم يُتخم شعرهُ بالبديع، ولم يُسرف وقد طابق قوله عن نفسه، ما وردنا من شعره. وهذه السمات الفنية – ولا ريب – هي التي تقدّم الشعر والشاعر، وتكفل لشعره الصيرورة.

ويبقى لدينا قولٌ لا بُدَّ منه: إنَّ ابن الوردي قد ضيّع – على الدارسين – وراءهُ قسطاً كبيراً من شعره ونثره لو وصل إلينا لضاقت صفحات الدراسات عن استيعابها، ولأغنت بحوث المتخصصين، ولكن لا سبيل لنا على هذا الشاعر، فقد محّص ديوانه وجمعهُ في حياته، وأسقط منه ما اراد التخلص منه، ولعلّ فيما تركهُ لنا، ثروةً ما زالت في حاجةٍ، إلى درسٍ ونظرٍ وتأمّلٍ.

الخاتمة والنتائج

بعد رحلة ممتعة مع هذا البحث الموسوم بـ**(ابن الوردي – ملامحٌ من سيرته وقراءة في اخوانياته)** ومتابعة متأنيّة لشعره الاخواني، يستحسن بنا أن ندوّن أهم النتائج التي توصلنا إليها:

١- يعد ابن الوردي من الرجال العظام الذين خلّدوا أنفسهم بعطائهم الفكري، من خلال آثارهم النافعة التي خلفوها، فقد تنوعت ثقافته وتشعّبت، فكان نابغة عصره، لم يدع باباً من أبواب المعرفة إلاّ طرقَه، وأصدق ما يوصف به أنه موسوعة زمانه.

٢- خلصت الدراسة في شعر الاخوانيات عند ابن الوردي، أنّ الرجل قد اختار في حياته من شعره، فجمعهُ في ديوانه، أي أنّه أثبت ما أراد أن يبقى بعدهُ، وحذف ما لا يريد منه، منطلقاً من حسٍ ديني ومن نظرة أخلاقية عالية، تترفّع عن التكسّب بالشعر، وترفض

هجاء الناس والنيل منهم لأيٍّ سبب كان، لذلك احتلّت الاخوانيات حيزاً كبيراً في شعرهِ الذي وصل إلينا. فبلغت نسبتها في ديوانه ٤٠% في حين توزّعت بقية الأغراض على ٦٠% بضمنها المقامات والكتب النثرية والإجازات لفضلاء عصره.

٣- إنّ ما تشغلهُ الاخوانيات من حيزٍ في الإنتاج الشعري في شعره يقدِّم لنا صورة عن حياته، في غير ما سطّرته التراجم في كتب الرجال والطبقات، ويوضّح لنا هذه الهمّة التي ما عاقتها ظروف القضاء والنيابة في الاحكام – والتدريس بعد ذلك والتأليف – من مخالطة العلماء ومدارستهم ومخالطة الناس والاتصال بهم.

٤- إنّ البيئة التي دارت فيها هذه الشخصية وعاشت، كانت بيئة علم وعلماء وقضاة، طبعت في هذه النفس الشاعرة، أعرافها وصفاتها، وقد اتصفت هذه الحياة باطار خلقي صارم، الذي يطبع نفساً مؤمنة، اتسمت بالاتزان والرصانة والزهد والورع وآداب المعاملة التي تقوم على نظرة جدية إلى حقيقة الأشياء دون تزييف أو تمويه، وفي إطار هذه البيئة جرى شعره وتأطّر، كما أنّ حركته في هذا المحيط – الآنف الذكر – مكنّهُ من إقامة أوثق العلاقات الاجتماعية مع فضلاء عصره، وحصّنته من مدِّ جسور العلاقة مع أمراء المماليك، ممّا جعلهُ في منأى عن الصراعات السياسية، التي عصفت بالبلاد آنذاك.

٥- كشفت الدراسة عن تنوّع موضوعات هذه الاخوانيات من عتابٍ ودعابةٍ وفكاهة ومساجلات اخوانية، إذ فرّقت الدراسة بين المساجلات الاخوانية وشعر النقائض، من حيث غرضهما القائم على المودّة والمحبة في الأولى والهجاء والتباغض في الثانية.

٦- فرّقت الدراسة أيضاً بين شعر المساجلات الاخوانية وشعر المعارضات، لقيام المساجلات على شرط وجود الشاعر وصديقه على قيد الحياة، في حين يكون شعر المعارضات في الغالب بين قصيدتين لشاعرين أحدهما ميت والاخر على قيد الحياة، كما أنّ موضوع المعارضات متنوّع كثيراً، ويكاد ينحصر شعر المساجلات في علاقات المودّة والتواصل بين الاخوان.

٧- ظهر من خلال الدراسة أنّ ابن الوردي، لا يحفل بالمحسنات البديعية التي كانت الشغل الشاغل للشعراء في زمانه، بل كان مذهبهُ التخفيف منها، وأنه أراد أن يكون شعرهُ سهلاً ممتنعاً، بعيداً عن التكلف والتصنّع فحقق في كثيرٍ منه ما أراد، ممّا قدّمتهُ الدراسة واختارته له من شعر الاخوانيات.

٨- تبيّن أن ابن الوردي مولعٌ بالتضمين، وقلّ أن نجد صفحةً في ديوانه خالية من تضمين شعرٍ لغيره، ليحقق لشعره مرتبةً أعلى في الصياغة والصنعة، فكأن الرجل يريدُ بمسلكه هذا أن يجاري القدماء وينافسهم، فإنْ غلبهم فذاك مناه وطلبه، وإن ساواهم فحسبه ما وصل إليه من جودة الصنعة وقوتها.

٩- تبين ان ابن الوردي يمتلك مرجعية معرفية واسعة، يشفّ عنها ما استعملهُ من مفردات اصطلاحية في علوم وفنون شتّى، ضمن خطابه الشعري، وذلك بما يتناسب مع اختصاصات مَنْ توجّه إليهم بشعره الاخواني من القضاة والعلماء والشعراء.

١٠- أشارت الدراسة إلى جانبين جديرين بالدرس والبحث، وهما إبداع ابن الوردي في مجال علم الجغرافية ورسم الخرائط، وإبداعه في علم الأحجار والجواهر، اللّذين لم يلتفت إليهما أحد من الباحثين.

الهوامش

١. فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي ٢٢٩/٢، الإعلام: ٢٢٨/٥، اعلام العرب في العلوم والفنون: عبد الصاحب الرحبلي: ١٧٤/١، طبقات الشافعية: عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: ٢٤٩/٥، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم: حنا فاخوري: ١٠٤٨، تاريخ الادب العربي: عمر فروخ ٧٦٦/٣ معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٣٠/٣، الدرر الكامنة: ابن حجر العسقلاني ١٩٥/٣، البداية والنهاية: ابن كثير ١٨١/١٨، النجوم الزاهرة: ابن تغري ٢٤٠/٩، شذرات الذهب: ابن العماد ١٦١/٥، الكنى والألقاب: عباس القمّي ٤٣٥/١، كشف الظنون: مصطفى بن عبد الله ١٥٣/١، مشاهير الشعراء والأدباء: علي مهنّا وعلي نعيم خريس ٢٥٣، الشعراء العرب: فواز الشعّار ٤٤/٢.
٢. ديوان ابن الوردي: ٥.
٣. بدائع الزهور في وقائع الدهور: ابن اياس ١٩٨/١، الإعلام ٢٢٨/٥.
٤. و (٥) و (٦) : ديوانه: ص ٥ ، ٥، ٢٩٥.
٧. ينظر فوات الوفيات: ٢٢٩/٢، الدرر الكامنة: ١٩٥/٣.
٨. بغية الوعاة: السيوطي ٢٢٦/٢.
٩. شذرات الذهب: ١٦١/٦.
١٠. ديوانه: ٤١٥.
١١. تتمة المختصر في أخبار البشر: ٢٣٩/٢. والسلطان المذكور هو السلطان المجاهد الاشرف خليل الذي فتح عكا آخر معاقل الصليبيين وقتل في السنة نفسها.

١٢. الدرر الكامنة: ١٩٥/٣.
١٣. المصدر نفسه: ١٩٥/٣ وينظر اعلام النبلاء: ٣/٥ وله ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى: ٢٤٩/٦.
١٤. ينظر ديوانه: ٥ فوات الوفيات ٢٢٩/٢، العلام العرب ١٧٤/١.
١٥. بغية الوعاة: ٢٢٦/٢ وينظر شذرات الذهب: ١٦١/٦.
١٦. الدرر الكامنة: ١٩٥/٣ وقصيدته في عتاب قاضي القضاة الزملكاني في ديوانه ٢٦٤ – ٢٦٥.
١٧. ديوانه: ٢٦٨.
١٨. المصدر نفسه: ٢٦٩.
١٩. ينظر: الشعراء العرب: ٤٤/٢.
٢٠. ديوانه: ٢٨١.
٢١. المصدر نفسه: ٥.
٢٢. ينظر: الشعراء العرب ٤٥/٢.
٢٣. تاريخ الأدب العربي القديم: حنا فاخوري ١٠٤٨ – ١٠٤٩.
٢٤. ديوانه: ٣١١.
٢٥. المصدر نفسه: ٢٧٧.
٢٦. ينظر: الكنى والألقاب٤٣٥/١.
٢٧. معجم المؤلفين ٣٠/٧.
٢٨. ديوانه: ١٦٢.
٢٩. ينظر: أعلام العرب: ١٧٤/١.
٣٠. ينظر: الدرر الكامنة: ١٩٥/٣، الإعلام ٢٢٨/٥، الشعراء العرب: ٤٤/٢ مشاهير الشعراء والأدباء: ٢٥٣، معجم المؤلفين ٣٠/٧.
٣١. النجوم الزاهرة ٢٤١/٩، بغية الوعاة ٢٢٧/٢، بدائع الزهور: ١٩٩/١.
٣٢. ديوانه: ٣٣٤ وتحديد تاريخ هذين البيتين من صنع جامع الديوان.
٣٣. للاستزادة ينظر: مجلة المورد، المجلد العشرون/ العدد الثاني من ص ١٢٣ – ١٢٥.
٣٤. ديوانه: ١٦٣ وفيها نص الإجازة العلمية، وأوردها حاجي خليفة ١٥٧/١ باسم (الألفية الوردية في التعبير).
٣٥. ينظر كتاب القادري في التعبير، مجلة المورد/ مج٢٠/العدد ٢، ص١٠٢، ١٩٩٢.
٣٦. حاجي خليفة ٧٠١/١ وينظر هدية العارفين ٧٨٩/١.
٣٧. أفدتُ هذا من مراجعة النسخة في مكتبة المتحف الحضاري بالموصل وعليها خط الكرملي.
٣٨. ديوانه: ١٦٣ وذكرها حاجي خليفة باسم (منطق الطير بإرادة الخير) في كشف الظنون .
٣٩. وقد نشرها محققة المرحوم الدكتور احمد ناجي القيسي في بغداد سنة ١٩٦٩م.
٤٠. لابن الوردي (المقامة الصوفية) في ديوانه ١٣٣ – ١٣٨.
٤١. ديوانه ٦ .
٤٢. (٤٣)، (٤٤)، (٤٥)، (٤٦)، (٤٧)، (٤٨)، (٤٩)، (٥٠)، (٥١): ديوانه، ص٦، ١٧، ١٨، ٣٣٨، ١٨، ١٨، ٢٠٩، ٢٩١، ٣٠٠.
٥٢. شذرات الذهب: ١٦١/٦.
٥٣. طبقات الشافعية: ٢٤٣/٦.
٥٤. الإعلام: ٥/٥.
٥٥. الأدب العربي في العصر الوسيط: ناظم رشيد ٩١، وينظر: الادب العربي في العصر العباسي: ٢٠٧، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: مصطفى الشكعة ٢٧٦، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: ٢٨٨.
٥٦. المصدر نفسه: ٢٨٩.
٥٧. آمال ومحاضرات: شكري فيصل ١١٤ نقلاً عن مطالعات في الشعر المملوكي: ٢٩٢.
٥٨. المصدر نفسه: ٢٩١.
٥٩. الأدب العربي في العصر الوسيط: ٩٣، وينظر المجالس الأدبية في عصر صلاح الدين الأيوبي: د. ناظم رشيد: ٣، مجلة المورد/عدد١٩٨٨/٣.
٦٠. ينظر ديوان حسن عبد الباقي الموصلي: ٧٨.
٦١. عجائب الآثار في التراجم والأخبار ١٢٤/٤.
٦٢. و (٦٣) و (٦٤): ديوانه ص ٢٢٠، ٢٥٩، ٢٦٤ وفيه المقامة المنبجية ١٤١ وهي مملوءة ذماً لهذه المدينة.
٦٥. و (٦٦)، (٦٧): ديوانه ص٢٦٥، وينظر عتابه لجمال الدين يوسف ٢٢٩، ٢٠٨، ٢٢٧.
٦٨. مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: ٢٩١.
٦٩. ترجمته في البداية والنهاية: ١٨١/١٨.
٧٠. ديوانه: ٢٩٦.
٧١. تنظر القصيدة في ديوانه: ١٨٢ – ١٨٣.
٧٢. ديوانه: ٣٠٥، ٣٠٦.
٧٣. ينظر مقالات في الأسلوبية: د. منظر عياشي ١١٢ – ١١٣.
٧٤. و (٧٥): ديوانه ص ٣٠٨، ٣٢٦.
٧٦. الدرر الكامنة: ١٩٥/٣، والأبيات في ديوانه: ٢٣٣.
٧٧. ديوانه: ٢٠١ وينظر كذلك ص ٢٣١، ٢٦٧.
٧٨. ديوانه: ٢٣٣ وينظر المدائح النبوية: ٢٩٧.
٧٩. و (٨٠): ديوانه ص٢١٣، ٢٨٩.
٨١. مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: ٢٩١.
٨٢. طبقات الشافعية: ٤١/٦.
٨٣. و (٨٤): ديوانه ص٢٣٧ وسمّاها (تحفة الأحباب في مُلحة الإعراب).
٨٥. و (٨٦)، (٨٧)، (٨٨)، (٨٩): ديوانه ص٢١٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٩٨، ٢٤٦.

٩٠. سورة الكهف: آية ٢٩.
٩١. ديوانه: ٢٢٥.
٩٢. ديوانه: ٢٤٦ وينظر بيتان اخوانيان، اقتبس فيهما حديثاً نبوياً شريفاً: ٢٤١.
٩٣. ديوانه: ٢٩٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١- الأدب في العصر المملوكي مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية، محمد زغلول سلام، الاسكندرية، د.ك، ط١، ٦٤٨هـ – ٧٨٣هـ.
٢- الأدب العربي في العصر الوسيط، ناظم رشيد، الرياحين، حلة، د.ط، د.ت.
٣- الأدب العربي في العصر العباسي الاول: د. شوقي صيف، ١٩٦٦.
٤- الإعلام، خير الدين الزركلي، د.مط، د.ك، ط٣، د.ت.
٥- اعلام العرب في العلوم والفنون، عبد الصاحب الرحبلي، العلمية، النجف، د.ط، ١٣٧٣، هـ – ١٩٥٤م.
٦- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ، ط١، ١٩٢٥م.
٧- الالفية الوردية، عمر بن مظفر بن الوردي، عبد الحميد العلوجي، د.مط مصر، د.ط، د.ت.
٨- بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن أحمد بن اياس الحنفي، د.مط، بيروت، ط١، ١٤٢٩ – ١٤٣٠.
٩- البداية والنهاية، عماد الدين بن كثير الدمشقي، دار ابن كثير، بيروت، د.ط، د.ت.
١٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ – ٤٢٥هـ.
١١- تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ – ٩٩٦م.
١٢- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ط٥، ١٩٨٩.
١٣- تتمة المختصر في اخبار البشر، زين الدين عمر بن مظفر الوردي، الحيدرية، النجف، ط٢، ١٣٨٩ – ١٩٦٩م.
١٤- الجامع في تاريخ الادب العربي القديم، حنا فاخوري، شريعت، ط٢، ١٤٢٤هـ – ١٣٨٢هـ.
١٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، دار الجيل، بيروت، د.ط، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
١٦- ديوان ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي، تحقيق د. أحمد فوزي الهيب، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
١٧- ديوان حسن عبد الباقي الموصلي: تح محمد صديق الجليلي، مط الجمهورية، موصل ١٩٦٦.
١٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١٩- الشعراء العرب، فواز الشعار، تحقيق د. أميل يعقوب، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٠ – ١٩٩٩م.
٢٠- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الحسينية، القاهرة، ط١، د.ت.
٢١- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١.
٢٢- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر بن أحمد، تحقيق محمد محيي الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٥١.
٢٣- القادري في التعبير، نصر بن يعقوب الدينوري، تح د.حاتم الضامن، مجلة المورد، مج٢٠/عدد٢.
٢٤- كشف الظنون، مصطفى بن عبد الله، تحقيق محمد شرف الدين، مكتبة الاسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٧هـ – ١٩٤٧م.
٢٥- الكنى والالقاب، عباس القمي، الحيدرية، النجف، د.ط، ١٤٧٦هـ – ١٩٥٦م.
٢٦- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، د.مط، د.ك، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٤١م.

٢٧- مشاهير الشعراء والادباء، علي مهنا وعلي نعيم خريس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٨- مقالات في الأسلوبية، د. منذر العياشي، ط١، ١٩٩٠، منشورات اتحاد كتاب العرب – دمشق.
٢٩- معالم الأدب العربي في العصر الحديث، عمر فروخ، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
٣٠- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، د.بكري شيخ أمين، د.مط، د.ك، ط٤، د.ت.
٣١- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، د.مط، بيروت، د.ط، د.ت.
٣٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين ابن أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي، مصر د.ط، د.ت.